من اسخيلوس

لايوس وأوديب

« درامتان مفقودتان »

بقية المنشور فى العدد الماضى

للأستاذ دريني خشبة

— ٩ —

« ويلاه ! لقد جئت أستجلى الحقيقة فضاعفوا الغموض فى نفسى ! أبى من هذا الذى أقتله ، وأمى من تلك التى أتزوج منها ، وأى شعب هو ذاك الذى أتعسه وأشقيه ؟ أتكون الملكة صادقة وأكون ابن بوليبوس حقاً ؟ ! أتكون زلة لسان من هذا المريد أرسلها وهو لا يدرى ما هى ؟ إذن لا بعد فى الأرض ، فأنا لا أطيق أن أرانى أقتل بوليبوس ، أبى ، إن كان حقاً أبى ... وأنا لا أطيق أن أرانى زوجاً لأمى الملكة ... إن كانت حقاً أمى ! ... »

وذهب المسكين لا يلوى على شىء ، يأوى الى الكهوف والغيران إذا جنه الليل ، ويغتذى بقليل من البندق أو الجوز أو التين إذا ألح عليه الجوع ، ويبل غلته من الجداول والغدران

— ١٠ —

وبينا هو يطوى الفيافى والقفار ، إذا به يصل إلى ملتقى طرق ثلاث ، وإذا به يصل ثمة فى الوقت الذى يصل ملأ كريم إلى المكان نفسه ، وقبل أن يعرف أوديب أى الطرق الثلاث يسلك إذا رجل طوال يبدو عليه من ملامحه أنه جندى أو قائد ، يأمره بصوت خشن أجش أن ينتحى ناحية حتى يمر الركب . وكانت لهجة الرجل من الجفاف والغلظة بحيث لم يحتملها أوديب ، فرفض أن يتزحزح خطوة واحدة ، بل زاد فاعترض طريق الركب كأنما يتحدى رجاله جميعاً . وكيف يُراد من أوديب الناشئ فى بيت ملك كورنثه والذى أعدته الأيام لتولى زمام الملك أن يصدع بأمر رجل عابر طريق ، مهما كان الرجل من حول وفى طول ؟ إذن ليلتحم أوديب مع كل هؤلاء القوم فى عراك عنيف ، وليكن من الأمر ما يكون !

وصاح الرجل مرة أخرى ، وأرغى من الغضب وأزبد ...

ولكن أوديب وقف مكانه كأنما سمر فيه ؛ وأخذ يحدج القائد بعينين تقدحان الشرر ، وتنفثان الموت الزؤام !

ولم يستطع القائد إلا أن يمتشق سيفه وينقض على أوديب كالصاعقة ... ولكنه سقط على الثرى قبل أن يصل اليه جثة هامدة ! « خذها ضربة من أوديب ! ! »

وذهل الجنود حينما شهدوا قائدهم معفرا بالتراب ... فتكاثروا على أوديبوس ... ولكنه صرعهم واحدا واحدا بضربات كأنها سنا برق يومض خلال السحاب فى يوم عاصف !

ثم نزل من الركبة التى كانت تنهب الطريق فى إثر الجنود رجل مُسِن قد وخط الشيب رأسه ؛ واقترب من أوديب وهو يهدج كالبعير الأبلق ، ثم أخذ يحذره من الموت الذى يتربص به ... « أنت شاب يا بنى والحياة حلوة جميلة ، وبرد الموت لا يخلق بعنفوانك ... فانتح ناحية ، ولا تركب رأسك ، ولا تحسب أنك تقدر على كما قدرت على هؤلاء ... » وكان الشيخ يهز فى يمينه سيفاً كالنية ... ولكن أوديب تبسم من قوله ضاحكا ... وأعجله بضربة قدّت رأسه وأضلاعه ... وغادرته عند حيد الجبل جزر السباع ...

وا أسفاه ! . . لقد قتل أوديب والده ! ! ونفذ ثلث القضاء ! فمتى ينفذ شطراه الآخران ؟ !

— ١١ —

سُلّطت على مدينة طيبة هولة رائعة ما برحت تغتال أهلها وتعيث فيها فسادا ، وكلما لقيت أحدا عرضت عليه حُجَيّا [1] ، فان فسرها وقدر على تأويلها خلت سبيله ، وإن لم يستطع غالته واعتذت به ... وقد عزّ على لايوس الملك ألا يقوى أحد على هذه الهولة فيخلص طيبة منها . ويرح من شرها العباد . فلما لم يستطع أحد أن يفسر حجياها اعتزم أن يذهب إلى دلفى مستخفياً فى رهط من جنده ، عسى أن يؤول له الكهنة ذلك الطلسم وينقذ شعبه من ذلك البلاء المبين !

وكأنما سعى لايوس إلى حتفه بظلفه ! فقد لقيه ولده أوديبوس وقتله ومن معه على ما وصفنا !

— ١٢ —

وقبل أن يبلغ أوديب طيبة ، كان خبر مقتل الملك وجنوده قد ذاع فيها ، ولكن من كان أولئك القتلة ؟ فلم يكن أحد

(١) الحجيا هى ما يسميه العامة (الفرورة) وهى غير الأحجية بتشديد الياء

مدوى ... إشاعات فحسب ! فقائل إن الهولة هى التى أدركتهم وصرعتهم جميعاً ؛ وقائل إن عصابة من قطاع الطرق أحدقت بهم وذبحتهم وهم نائمون ... ...

وكان أوديب قد سار فى طريق طويلة شاقة انتهت به إلى طيبة . فلما كان ثمة لقيه واحد من الأهالى أنس اليه ، وتبسط معه وذكر له خبر تلك الهولة الفظيعة التى قتلت ربع سكان طيبة : « وإذا لم يرح المدينة منها أحد ، فقد تقتلنا جميعاً ! ! وهى تعرض على من تلقاه حُجيّا يا صاح ، فاذا عرفها وأدرك تأويلها خلت سبيله ... وإلا ... فهى لا بد فاتكة به مهما كان سلاحه ، ومهما كانت قوته !! وها هى ذى قد فتكت وحدها بالملك وجنده فى طريقه إلى دلفى ... وقد أجمعت المدينة على أن من يخلصها من ذلك الشر المستطير فانها ترفعه إلى العرش فيكون ملكا على طيبة الخالدة . ثم يحظى بالملكة الأيم فتكون زوجة له ! ! »

— ١٣ —

وكان أوديب قد زهد فى حياة التشرد التى شقى بها بعد مغادرته كورنثه ، فصمم على أن يلقى الهولة ... فاما قتلها وفاز بعرش طيبة وبيد الملكة ... وبحياة ناعمة مخفرجة ، وإما قتلته فأراحته من شظف العيش ولؤم الزمان

ودله صاحبه على مكانها ... فذهب اليها وبيده جرازه ... أظمأ ما يكون إلى دم حار ومم زعاف ! ...

وقالت له : « مكانك أيها القادم ! أفتنى فى مخلوق غريب إذا انبلج الصبح درج على أربع ، فاذا انتصف النهار مشى على رجلين ، فاذا أرخى الليل سدوله سار على ثلاث ! قل ! فان لم تستطع ، فودع الحياة [1] »

وعبس أوديب عبسة قصيرة ، وقال : « أيتها الهولة ! أهذه حجيباك ! ! إذن إسمعى وعى ! ذلك المخلوق هو الانسان من غير ريب ! أليس يحبو على أربع إذ هو طفل ، فاذا شب سار على رجلين ، فاذا بلغ من الكبر عتياً توكأ على عصا ، فكانت له رجل ثالثة ؟ ! »

وما كاد يتم قولته حتى اربد وجه الهولة ، وحتى انثنت تأخذ طريقها إلى البحر لتغيب فى أحشائه ، ولكن أوديب الذى ملأه انتصاره بحل اللغز عُجباً وكبرياء ... انقض عليها وخوّض فى صدرها بجرازه ... وتركها على الشاطئ جثة خامدة !

(١) الترجمة عن سوفوكليس

— ١٤ —

وفرحت طيبة بمخلصها العظيم ، ومنقذها الكريم ، ورفعت أوديب إلى عرشها ، ووضعت على ناصيته تاجها ، ووهبت له يد الملكة فتزوجها !

وا أسفاه !

لقد تزوج أوديب أمه ! وتم الشطر الثانى من النبوءة الصارمة ، وأولدها ابنها أربعة أبناء أشقياء ، ولدين وابنتين ، كأشباح الأسى والردى ، والتعاسة والمنون ! !

— ١٥ —

وحكم أوديب فعدل ، واطمأنت إلى رحمته قلوب العباد ، وتقدمت طيبة واستقامت أمورها ، وبلغت من الأيد والقوة مبلغاً لم تكن تحلم به ...

غير أن النبوءة تأبى إلا أن تتم ، ولا بد أن ترث ذرية أوديب التعاسة عن أوديب . ذلك أن طاعوناً اجتاح طيبة ، فكان الناس يموتون بالمئين ! وكلت حيل الأطباء ، فأرسل الملك من يستنبئ كهنة أبوللو فى دلفى عسى أن ترغم الآلهة غضبها بكشف هذا البلاء عن بلده الأمين ! وعاد رسل الملك يقولون : « يقول أبوللو ابحثوا عن قاتل لايوس وانتصفوا للملك منه ... يرفع عنكم ذلك الطاعون ! »

قاتل لايوس ! ! إذن يجمع أوديب شرطة طيبة ، ورجال القضاء فيها ، ويجرى تحقيق دقيق ينتهى بالحقيقة المؤلمة ...

« يا للخزى ! ! إذن أنت هو ابنى يا أوديب ! أنا أمك ! أنا أمك ! يا للعار »

وتنطلق الملكة إلى غرفتها الخاصة فتنتحر ! وقبل أن تفعل ترسل وراء الخادم الذى كان قد أخذ الطفل ليقتله ، فيحضر ، ويعترف بكل ما كان !

— ١٦ —

أما أوديب ، فانه لا يستطيع أن ينظر إلى أمه ... بل يجن جنونه ، ويتناول دبوساً فيسمل به عينيه ، وينطلق إلى البرية على غير هدى ، فتتبعه ابنته أنتيجونى ، تقوده إلى غاب كولونوس حيث تأوى ربات الذعر فيقتلنه ...

وينكشف الطاعون عن طيبة

ويقتتل ابنا أوديب على العرش ، فيقتل بعضهما بعضاً ، وتتم المأساة ! ... ...

دريني خشبة